

دراسة في تاريخ عرب آسية الوسطى

الدكتور فوزي مصطفى

جامعة دمشق

قسم التاريخ

مقدمة:

قليلة هي الدراسات التي تناولت أوضاع الأقليات العربية الموجودة في آسية الوسطى. وبالتالي فإن تاريخ هذه الأقليات و مساهمتها في حضارة المنطقة أو حتى تأسيس المعارف والعلوم النظرية والتطبيقية التي كان لها دور كبير في تطور الحضارة الإنسانية لم يدرس، على الرغم من أن هناك العديد من المشاهير الذين أنجبته المنطقة. وهذه الدراسة المتواضعة التي قمت بها. ذات شقين:

١- الشق الأول ميداني: من خلال الزيارات المتكررة التي قمت بها للعديد من الأماكن وما أقمته من الصداقات مع الأهالي.

٢- الشق الثاني: من خلال المصادر والمراجع والكتابات التي أمكنني الحصول عليها لعلني أستطيع تسليط الضوء على تاريخ العرب في آسية الوسطى، خدمة للعلم وتأدية لواجبي تجاه شعبي وأمتي.

يعود تاريخ اتصال العرب بآسية الوسطى لعام (٢٢هـ)^(١) عندما توغلت قوة عربية يقودها الأحنف بن قيس في خراسان متعقبه (يزدجرد ملك الفرس) الذي التجأ إلى تلك المنطقة بعد الهزيمة التي مني بها، وفي عهد الخليفة عثمان بن عفان توجه عبد الله بن عامر بن كريز إلى آسية الوسطى عام ٣١/هـ، وتعدّ هذه الحملة بداية الاحتكاك بين العرب والترك^(٢).

وفي عام ٥٤/هـ قاد عبيد الله بن زياد، حملة إلى بلاد ما وراء النهر — إلى بخارى وتم فتح مدن رافي، ونسف، وبيكند القريبة من بخارى^(٣)، وفي سنة ٦١/هـ تمكن القائد العربي مسلم بن زياد من غزو خوارزم^(٤). أما التوسع العربي الذي شمل بلاد ما وراء النهر حتى حدود الصين فتم على يد القائد المشهور (قتيبة بن مسلم الباهلي) والذي استغرقت حملته عشر سنوات توزعت على أربع مراحل.

- المرحلة الأولى: وتم فيها الاستيلاء على الطالقان، وبلخ، وذلك عام ٨٦هـ — /٧٠٥م/

- المرحلة الثانية: من عام ٨٧—٩٠هـ / ٧٠٥—٧٠٨م تم فيها الاستيلاء على بخارى.

- المرحلة الثالثة: من ٩١—٩٣هـ — ٧٠٩ — ٧١١م تم فيها فتح منطقة وادي جيحون.

- المرحلة الرابعة: من ٩٤—٩٧هـ — ٧١٢ — ٧١٤م، تركزت الفتوحات على المناطق الواقعة على نهر سيحون، ووصلت إلى منطقة الشاش (طشقند حالياً) شمالاً، وكاشغر شرقاً^(٥).

- وقد تم إحصاء عدد المقاتلين العرب في خراسان عام ٩٦هـ، حيث بلغ عدد الذين شاركوا في الفتوحات من أهل البصرة /٩٠٠٠مقاتل/ ومن قبائل بكر بن وائل /٧٠٠٠مقاتل/ ومن تميم /١٠٠٠٠مقاتل/ ومن الأزد /١٠٠٠٠/ ومن الكوفة

/٧٠٠٠/ ^(٦)، وحتى لو كانت الأرقام تقريبية فهذا يدل على حجم وأهمية الوجود العربي في تلك المنطقة.

- ويعدّ القرن الأول الهجري بداية استقرار العرب في مناطق كثيرة من آسية الوسطى ((مرو وبلخ وسمرقند وبخارى وفرعانة ^(٧) الخ)). ويمثلون قبائل عبس، وبنى زهرة، وطىء، وباهلة، وتميم، والأزد، وغيرهم.

هذا وقد نفذت بعثة عام ١٩٣٦م إلى حد كبير إحدى المهام الرئيسية للاستعراب والدراسات الشرقية السوفيتية إجمالاً، وهي دراسة الوضع المعاصر لإحدى القوميات الصغيرة ذات الطابع الخاص في الاتحاد السوفيتي وهم (عرب آسية الوسطى).

وقد كتب الراحل : ف.ف. بارتولد ^(٨) ، حول ضرورة الإنجاز السريع لهذه المهمة. وبهذا الخصوص أدرجت دراسة ماضي هؤلاء العرب. وكانت المعلومات المتوفرة حولهم وجيزة جداً في أغلب المراجع التاريخية لآسية الوسطى. ولجمع كافة المعلومات حولهم يلزم إنجاز عمل هائل لاستعراض المخطوطات والمطبوعات التاريخية ومجموعات الوثائق. وقبل أن أضع أمامي مثل هذه المهمة سأحاول تلخيص تلك البيانات القليلة التي استطعت جمعها.

عرف منذ القدم وجود عرب آسية الوسطى. وبدءاً من القرن التاسع عشر، وتقريباً كل رحالة كان في خانية بخارى، كرّس لهم بعض الأسطر وهكذا فقد كتب ميندروف ^(٩). الذي سافر إلى بخارى في عام ١٨٢٠م، "استوطن العرب في بخارى منذ أن استولى الخلفاء على هذه البلاد، ويمكن معرفتهم من النظرة الأولى بلون وجوههم السمرة، وهم يقيمون في القرى وهناك عدد قليل من العرب يطوفون بالقرب من كارشي وترمز".

ولدى الكثير من العرب المزارعين قطعان يرسلونها لترعى في السهول. وهم بشكل رئيس

يمدّون التجارة بجلود الخراف الرائعة ويحدد في مكان آخر عدد العرب الإجمالي في بخارى بـ /٥٠٠٠٠/.

واستناداً لما ذكره خانيكوف^(١٠) الذي كان في بخارى في عام ١٨٤١-١٨٤٢م يعيش العرب في الأقسام الشمالية لخانية بخارى وبشكل رئيس بالقرب من فاردانز وسمرقند، وهم رحل، ما عدا قسم منهم يعمل بالتجارة، كما أنهم يتحدثون فيما بينهم بالعربية ((لكن ليس باللغة العربية الصافية)). إذ تشوبها بعض الكلمات من اللغات المحلية الأوزبكية والطاجيكية.

وبعد آرمينوس فامبري^(١١) ١٨٦٣م مثل ميندروف أن عرب بخارى هم أحفاد الفاتحين في القرن الأول الهجري، ويشير إلى أنهم احتفظوا بالتشابه مع عرب الحجاز والعراق وبضيف " لقد وجدت القليل ممن يتحدثوا باللغة العربية". وهو يحدد عدد العرب بستين ألفاً. يعيشون على الأغلب في ضواحي فاردانزه، واوابكيند، على بعد ٢٥/كم عن بخارى على الطريق إلى سمرقند.

— من بين الكتاب وخاصة الضباط والموظفين الروس المشاركين في غزو آسية الوسطى في الستينات والسبعينات من القرن التاسع عشر نجد — أدغريبينكين^(١٢) الذي عرّف جيداً منطقة زيرافشانسكي، أي بكلمات أخرى المنطقة التي يشغلها الروس، وهي قسم من وادي زيرافشان حتى كاتا— كورغان، وزيرا بولاك. وحسب أقواله فإن عرب منطقة زيرا فشان ينقسمون إلى مجموعتين يمكن تمييزهما من حيث المظهر واللغة وما شابه ذلك.

المجموعة الأولى تعيش في منطقة خوجا أحرار، قرب سمرقند، في حي خاص في كاتاكورغان — وفي عدد من ضواحي القرى ويتكلمون باللغة الطاجيكية.

أما المجموعة الثانية التي تعيش في انفارسكي تيومن في جنوب غرب سمرقند، وفي السهل بالقرب من كاتاكورغان — فإنها تتحدث باللغة الأوزبكية. وبين هاتين المجموعتين يوجد أنصاف رحل وفلاحون يمارسون صناعة الحرير والسجاد الجيد إضافة إلى الرعي والزراعة. ويتزوجون فقط من بعضهم البعض، حتى أنهم في منطقة كاتاكورغان، يتعقبون من يصاهر من القوميات الأخرى ويضايقونهم، وقليل جداً من بينهم من يجيد القراءة والكتابة، فالعرب حسب ما جاء به غريبنكين ينقسمون إلى عدة فروع من المجموعات القبلية والتي لا حاجة هنا لتعدادها، وعدد عرب منطقة زرفشان حسب معطياته حوالي ٢٠٠٠/ عائلة، أي بكلمات أخرى حوالي عشرة آلاف نسمة.

— أما الباحث ل. ن. سوبوليف^(١٣) فيعد أن العدد الذي أورده غريبنكين. مبالغ فيه بمقدار ثلاثة أضعاف ويضيف غريبنكين أن أقرباء المجموعة الأولى يعيشون في القسم الغربي من منطقة كارشينسك، حيث يشتهرون بتربية سلالة خاصة من الأغنام والخيول الأصيلة.

((وعرب كارشينسك يتحدثون فيما بينهم بلهجة عربية خاصة بهم)). وهناك معلومات تستوجب الاهتمام يدلي بها غريبنكين حول أصل العرب:

* نسبة لفترة مجيء العرب إلى آسيا الوسطى هناك قصتان:

- الأولى تقول: بأنهم قدموا إلى المنطقة كفاتحين لنشر الإسلام وذلك في فترة حكم والي خان^(١٤) وشاه — زنده وغيرهم من الغيورين على نشر الإسلام، والقصة الثانية تقول بأن الأمير تيمور هو الذي جاء بهم إلى آسيا الوسطى أثناء عودته من حملاته على المنطقة العربية. عرب الفئة الأولى يعدون أنفسهم خلفاً للعرب الفاتحين)). أشير أيضاً إلى ما أفاد به غريبنكين أن المجموعة الأولى خلافاً للمجموعة الثانية لم تخدم

في صفوف جيش أمراء بخارى.

- الباحث الأول الذي كتب عن عرب آسيا الوسطى بعد الثورة الشيوعية هو م. س. اندرييف^(١٥) الذي درس عرب محافظة سمرقند في عام ١٩٢١ م. وحسب معلوماته فإن العرب يتحدثون باللغة الأوزبكية وأضاعوا لغتهم الأصلية منذ زمن بعيد. الكثير من معلومات اندرييف تتطابق مع بيانات غريبينكين. مع أن الأخير لم يكن يقتبس ويحتمل أنه لا يعرف تفرع العرب إلى قبائل، يقدمه بشكل آخر إلى حد ما بالمقارنة مع غريبينكين، لكن معلومات الأخير مؤكدة من قبل بوريكينا وازمائيوفا. القصتان اللتان أوردهما اندرييف غير منتظميتين أو غير متتابعيتين نوعاً ما. فكما أورد غريبينكين فإن قسماً من العرب يعدّ نفسه قد جاء في عهد تيمور. والقسم الآخر قد جاء قبل ذلك ويشير أن عرب قضاء كاتا كوغانسك كانوا يقيمون سابقاً في كارشاه. حتى أن بعضهم يذكر مكان (كاماش) الذي رحلوا منه بأمر من أمير بخارى منذ ٢٥٠ عاماً.

والآخرون يعدّون أنهم قد رحلوا من غيسار وبخارى. وحسب إحدى روايات قصة ترحيل العرب من قبل تيمور، فقد أمر بإرسالهم إلى "الصين" ولكن تحت إلحاح معلمه "مير حيدر" فقد سكنوا في ضواحي كيسار وكارشاه.

وتقديرًا منهم لموقف مير حيدر ألزم العرب أنفسهم بدفع ضريبة خاصة من أملاكهم لصالح مير حيدر وخلفه.

ومن الطريف الخبر الذي أورده اندرييف حول الصدامات التي حصلت قبله بأربعين عاماً على أرضية العداء القومي بين العرب، والطاجيك، والأوزبك، في كاتا كورغان، وهذا ما يشير نوعاً ما إلى العزلة القومية للعرب.

وفي بداية عام ١٩٣١ صدرت الطبعة الأولى من مقالة بوريكينا وازمانيلوف^(١٦)، والتي كرسّت خصيصاً لعرب آسية الوسطى.

ولكن بقي بالنسبة إليهم مجهولاً أيضاً بيانات غريبينكين والباحثين الآخرين وكذلك اندرييف، من هذا البحث المعروف للجميع، سأورد فقط بعض البيانات ذات الأهمية التاريخية. في القصص التي يرويها سكان كيشلاك (عرب - خانة) بالقرب من سمرقند وجيناو في ناحية كارشين والكيشلان بالقرب من كيرمين يذكرون تيمور، ولكن هذه القصص يختلف بعضها عن البعض الآخر، حيث أن تيمور حسب هذه القصص قام بترحيل العرب من أفغانستان وإيران وليس من المنطقة العربية، وحسب ما ذكره سكان جيناو، فقد مروا عبر اندخوي في تركستان الأفغانية وبقي هناك الكثير منهم، ووصل الآخرون إلى كيشلاك كاتشا (سيتم التطرق إليها أدناه).

— السلطان مير حيدر، /صهر تيمور/، كان قد طلب إبقاءهم هنا (من رواية بوريكينا وازمانيلوف لم يتبين أين بالضبط، في كاتشا أم كارشاه)، وفي كيرمين يقولون أيضاً مثل اندرييف، حول نية تيمور إرسال العرب إلى الصين وحول توسط مير حيدر.

وبالنهاية يقولون في (عرب - خانة). أن تيمور قد نقل /٧٠٠٠٠ عربي/ من مكان لآخر وأخيراً تركهم وشأنهم ولكن بنتيجة وساطة الشخص نفسه، ويذكر أنه في جيناو توجد مجموعتان:

إحدهما تتحدث العربية وهم بكل بساطة عرب، أما المجموعة الثانية فإنها لا تتحدث العربية وهم عرب — اندخويين (ولم يشير إلى اللغة التي تتحدث بها المجموعة الثانية). ووردت في المقالة سلسلة كاملة من أسماء المجموعات القبلية بعضها غاب عن اندرييف لكنها موجودة عند غريبينكين، وهذا ما يؤكد ما جاء به الأخير. سكان قرية جوكاري

(التمسك بالمكان). بالقرب من بخارى حسب الحكايا قد جاؤوا إلى بخارى من اندخوي، وكما يتحدثون فقد جاء أسلافهم لاحقاً للمجموعات الأخرى لزيارة ضريح (بهاء الدين النقشبدي) في ضواحي بخارى واستقروا هناك.

ومن المهم أيضاً فصل الطبقات بين العرب من حيث النوع، عادة بالنسبة للرُّحْل من الفقراء الذين كانوا يستوطنون مباشرة، أما الأغنياء فإنهم يتابعون الترحال لكنهم يمارسون اقتصاداً زراعياً مستقراً بمساعدة العمال الزراعيين وأولئك الذين يعملون بنظام المحاصصة، أذكر بأن المعلومات تعود إلى عام ١٩٢٩م وهذا الفصل بالطبقات كان شديداً أكثر مما هو عليه الحال لدى السكان المحيطين بسبب انتشار تربية الأغنام ذات فراء (استراخان الثمين) لدى العرب.

وهناك الكثير من المراجع يرد فيها ذكر عرب آسية الوسطى^(١٧)، في تركمانية، وفي واحة خوارزم، وفي فرعانة، وفي الأقسام الجبلية من طاجيكستان، حتى وادي نهر ياخ - سو على حدود دار واز، لكنهم حافظوا على لغتهم وذلك على ما يبدو فقط لدى بعض المجموعات الصغيرة في واحات بخارى وكارشين^(١٨). ولتوضيح كيف انتشر السكان العرب في آسية الوسطى يكفي إلقاء نظرة على أية خارطة تفصيلية، حيث تكاد لا توجد منطقة بلا (سكان يطلق عليهم "عرب" أو "عرب - خانة").

وتجاه المعلومات التي يمكن استخلاصها من الجغرافيين والمؤرخين العرب سأتوقف أدناه، حيث لا توجد لدينا أسساً كافية تجعلنا نعد أن العرب المعاصرين في وديان زيرافشان وكاشكا داريا خلفاً للعرب المذكورين قبل ألف عام، وزد على ذلك في مناطق أخرى. لذلك فضلت السير بطريق آخر - الانطلاق من الحاضر إلى الماضي، من القرن التاسع عشر إلى القرن السادس عشر والقرن العاشر.

هناك الكثير مما ذكر حول العرب في المراجع التاريخية لأسية الوسطى في القرون الأربعة الأخيرة، لكن أغلبها يرتبط بأراضي تركمانيا، بالعرب الذين تبناوا اللغة التركمانية وانصهروا مع التركمان^(١٩). هذه المراجع كثيرة جداً لكن البحث فيها صعب جداً إلى حد كبير حيث بقيت كلها تقريباً على شكل مخطوطات وقسم منها مجهول قليلاً.

وها هو عبد الكريم بخارسكي^(٢٠) الذي كتب في بداية القرن التاسع عشر متحدثاً عن القبائل الرحل التابعين لخانية بخارى، على أثر التركمان القاطنين حول تشار جوي، مسمى العرب المنتسبين إلى قبائل: بنو حزين، بنو تميم، بنو زيد، وغيرهم الذين لا عدد لهم، بعد ذلك ينتقل إلى الرحل القاطنين في ميا نكال، بالقرب من كاتا كورغان، النص الذي أورده عبد الكريم بخارسكي غير منتظم أو متتابع، حيث لا نرى فيه أين عاش هؤلاء العرب بالضبط، حيث يمكن فهم أن الحديث يدور حول عرب الشاطئ الأيسر لـ أمو - داريما. (نهر جيحون).

الوثائق تتحدث أكثر عن العرب. وبغض النظر عن المادة المتاحة لي من هذا النوع بمحض الصدفة، تشكل جزءاً ضئيلاً من كتلة الوثائق الموجودة والتي تعود إلى الأربعمئة سنة الأخيرة، فإنه لدي الآن سلسلة كاملة مما يمكن ذكره عن العرب. الوثائق الأخيرة منها حسب الزمن - هي وثائق بداية القرن التاسع عشر حيث نجد في الأمر الذي أصدره الأمير حيدر في عام ١٢١٨هـ (١٨٠٣م) حول تجنيد "كاراتشيريك" ((قوات مدنية)) في ضواحي مدينة بخارى في صفوف القبائل الأوزبكية قد ذكر العرب الذين كان عليهم أن يقدموا /١٥٠/ شخصاً^(٢١).

وفي الوثائق التي استخدمها ف.ل. فياتكين في بحثه حول ولاية كارشين^(٢٢) والتي تعود للأعوام /١٨٠٠-١٨٠٣م/ ذكر العرب القاطنين في قرى كاماش^(٢٣) وعبران، وفولاد

وغيرها، الذين كان عليهم أن يقدموا مائة من الرماة ومن الجدير بالذكر أن قرية كاماش تقع في ناحية بيشكند، وهذه على ما يبدو هي نفس كاماش التي ذكرها اندرييف.

أما قرية عبرون=عبران فإنها تقع في ناحية كاسان^(٢٤) إلى الشرق من بخارى، لكن لا توجد معلومات عن قرية بولاد= (فولاذ).

ولأسف لم يقدم ف. ل. فياتكين النص الأصلي للوثائق، ودراسة المجموعة التي استخدمها والموجودة الآن في المكتبة العمومية الحكومية لجمهورية أوزباكستان في مدينة طشقند^(٢٥)، يحتمل أن تقدم معلومات إضافية لهذه المسألة التي تهمننا.

— كُرِّست هاتان الوثيقتان التاليتان خصيصاً للعرب، وهما موجودتان في مجموعة الوثائق وبطاقات كتب — "إنشاء" المحفوظة في معهد الاستشراق التابع لأكاديمية العلوم السوفيتية تحت رمز "A212" وتحتوي على وثائق تعود للنصف الثاني من حكم أمير بخارى حيدر "١٨٠٠-١٨٢٦م" وهنا نبين نماذج الوثائق الرسمية حول التعيين بوظائف مختلفة وتوجد وثيقتان خاصتان بالعرب إحداهما بعنوان "نشان (بوظيفة مير هزار)"^(٢٦) ويرد فيها ما يلي:

— وحيث أن العقل اللامع الذي يعرف قيمة (الناس) والفكر النير هو أساس العدل يولييان الاهتمام بوضع الممالك القدماء. (خاصتنا) فقد تطرقا إلى جزء من رحمة الخانات ولبوا أمل "اللاجئين من الحرب"^(٢٧). ذلك المحب للخير ميرزا بيك ولد اسماعيل بيك الذي أجلسناه على رأس خان الذي أصبح مير هزار، وقدمت الرحمة لجماعة العرب الذين يتحدثون باللغة العربية (أعراب -- عربي كوي) المقيمين في العاصمة الرائعة (بخارى) المتألفة وضواحيها.

— ومن الجدير الذكر أن المجموعة اعترفت بالمذكور أعلاه مير هزار رئيساً لهم (كالون)

حيث أعزته واحترمته ولم تتوان عن تنفيذ توجيهاته التي تشكل خيراً للدولة المزدهرة ومنفعة للجماعة المذكورة. وعندما توقع (هذه الوثيقة الرسمية) بخاتم سامي فأنهم سيبدون الثقة".

ويلي ذلك rs576-s76 وثيقة أخرى بعنوان "نشان" بوظيفة" مير هزار اكتشا.

ورد فيها:

"هذا ما يدركه الحكماء. حيث أن الوفي خول^(٢٨) مير هزار، الذي بكل صدق ومودة علش حياته في خدمة القصر - ملجأ السلام. حيث ودّع هذا العالم سريع الزوال وجعل حياته ضحية لصاحب السمو. لذلك بملامسة جزء من عطف الخانات فأن وضع هذا العبد القديم (خاصتنا) وابنه محمد صديق لبوا آماله "منحناه" لمجموعة العرب. الذين يتحدثون باللغة العربية (أعراب عربي كوي) لتلك الولاية المذكورة. أناس هذه المجموعة المذكورة يعدونه" مير هزارهم وشيخهم" حيث يحترمونه ويطيعونه ويلبون أوامره التي ستكون نفعاً للدولة المزدهرة وخيراً للمجموعة المذكورة ذلك المبلغ الذي استلمه أبوه من الخزينة الشخصية السامية (سر كوري خوسا) سنوياً من خبز ونقود (نقداً) فقد خصصناها له بمثابة راتب (ألوفا). كان على موظفي الديوان أن يدرجوا ذلك في السجل السامي (دفتر أولي) أما جباة الأتاوات فكان عليهم أن يدفعوا بدون حسم من الخزينة الشخصية السامية. وعندما ستزود هذه الشهادة بالخاتم السامي سيتم اعتمادها".

وهكذا فإنه في الربع الأول من القرن التاسع عشر كان العرب الناطقون باللغة العربية القاطنون على الأقل في منطقتي - بخارى واكتشا. قد شكلوا وحدات إدارية خاصة بزعامة مير هزار، وهم حرفياً بالآلاف. هذا اللقب كما يبدو من الوثيقة الثانية قد انتقل أحياناً بالوراثة. إن التأكيد على "العرب" الناطقين باللغة العربية يشير إلى أنه في ذلك

الوقت كان هنالك عرب لا يتحدثون العربية وكلمة "جماعة" قد استخدمت في ذلك الوقت عادة بمعنى وحدة قبلية - قبائل و أحياناً استخدمت بالمعنى المعروف حالياً - جماعات زراعية و قروية (اكتشا) هي قرية صغيرة في ريف مدينة مزار شريف الأفغانية، بالقرب من اندخوي و شوبرغان. حتى منتصف القرن التاسع عشر كانت هذه المنطقة خاضعة لأمراء بخارى.

وعلى ما يبدو هي نفسها " قرية غاتشا " التي تُذكر في القصص العربية المدونة من قبل بوريكينا وتركمانستان وازمانيوفا. وبهذا الشكل فإن العلاقة بين عرب آسية الوسطى وتركمانستان الأفغانية مؤكدة بالوثائق، ولم تتم الإشارة إلى وظائف مير هزار. لكن على ما يبدو لم يتم بجمع الأتوات، حتى أن مير هزار نفسه قد حصل على راتب من الجبابة. وكل مير هزار لم يحمل أي رتبة ويحتمل أنهم كانوا بمثابة شيوخ من العرب أنفسهم. وعبارة " عبید قدماء " تعني فقط أنهم كانوا بالوراثة في خدمة أمراء بخارى. وسأعود إلى منشأ هذه الوظيفة.

بالنسبة للقرن السابع عشر والقرن الثامن عشر، لا توجد لدي بيانات حول العرب. وبالنسبة لنهاية القرن السادس عشر يوجد تنويه بصيغة نداء ((وثيقة عبد الله خان)).

حيث يرد ذكر العرب في هذه الوثيقة باسم "عبد الله نامي" حول أحداث الأعوام ٨٨٧ هـ - ١٧٨٢ / ٨٣. وفي الأحداث التي وقعت ما بين عامي ١٤٨٢ - ١٤٨٣.

و يعّد النصف الأول من القرن السادس عشر أكثر غنى. حيث توجد لدينا عنه مجموعة وثائق "انشأ" الذي حصل عليها ف. ف بارتولد في عام ١٩٠٢ ويحتفظ بها الآن في معهد الاستشراق^(٣٠)، القسم الأساسي من هذه المجموعة تتكون من نماذج ووثائق (كما هو الحال دائماً في مثل هذا النوع من الوثائق حيث لا يذكر فيها تاريخ أو ذكر لأسم الخان) تعود

لولاية سمرقند وجزئياً لمناطق أخرى في آسية الوسطى. فالمخطوط على الورق و الخط لا يمكن أن يكون في فترة أقرب من منتصف القرن السادس عشر وتدل على هذه الفترة سلسلة من العناصر في نص الوثائق وفي وثيقتي (١٨٦٦م، ٨٣٦٦) عبد العزيز خان مع عبارة "أطال الله عمره" - توفي هذا الخان في عام ١٥٥٠ م. وفي صيغ المعاملة في بعض صيغ هذه المجموعة يذكر العرب في أربعة منها - مير هازاري العرب، سأورد مثل هذه الصيغة في الوثيقة الأولى - نيشنان" وظيفة (في حينها ليست رتبة) مير خور (r.250).

وقد ورد فيها ((يذكر الأخوة الأقوياء الجبابرة كالشمس. أمراء ووجهاء. دعائم الدولة والوزراء ذوو الشأن والإمكانية. وجبة الضرائب. والذين يشرفون على أعمال وأمور السلطان والقائمون بمهام الديوان يوزبيكيون (بالمئات) أيماقات. ومير هزاران أعراب (عرب) وقبائل (أحشام). وأرباب و كلانتران (شيوخ) وجماعة التجار وغيرهم من سكان مدينة وولاية سمرقند وعلي آباد^(٣١) وغيرها من الأماكن التابعة لسمرقند... ..^(٣٢)))

تكررت تلك الصيغة بتغيير بسيط في ثلاث وثائق تعود أيضاً لولاية سمرقند (r.256- 266) وفي الوثيقة رقم (r.269) حيث أن مصطلح "أحشام" غير موجود ويذكر فقط مير هزاران^(٣٣) (أعراب). بعد ذلك أيضاً في ثلاث وثائق بصيغ مشابهة يذكر العرب بدون ذكر مير هزاران وهذه الوثائق متعلقة بولاية بالخسك (r.1946) وكيشك (=شهر سياب. r.286) وبخارى (r.1946). وهكذا كان العرب في منتصف القرن السادس عشر في آسية الوسطى في ثلاث مناطق يقيمون فيها الآن - بخارى وسمرقند ووادي كاشكا دارييا. العرب (العرب=البدو) وهم يذكرون وسط القبائل الرحل بالقرب من أيماك - قبائل من أصل تركي أو منغولي. وهؤلاء الآخرون تتم قيادتهم من قبل اليوزبيك (مئات). وحينها

حيث أن العرب والقبائل الأخرى (أحشام) – يحتمل أنهم من أصل غير تركي^(٣٤) – بل مير هزاران (بالآلاف) ولمعرفة ماذا يشكلون هؤلاء المير هزاران فإن الوثيقة الواردة أدناه الواقعة في (rr.124g-1246) من نفس المجموعة. ومن الوثيقة لا يلاحظ إلى أية ولاية تعود لكن يمكن أن نفترض كما في أغلبية الوثائق أنها تعود لسمرقند:

نشان مير هزارى أعراب (وثيقة مير هزار عرب). وقد ورد مبيناً وهذا ما يدركه الأخوة الجبابرة والمظفرون. الأبناء المشهورون الذين يعيشون في بحبوحة. الأمراء الذين يزينون المملكة. والوزراء مطلقي الصلاحية الذين يتمتعون بإمكانيات وجملته من المزايا الجيدة ونواب القصر – ملجأ السلام شبيهه بقبة السماء. وجباة الضرائب والمشرفين على أعمال ووظائف المملكة. ومدير وأعمال الديوان والخدم المقربون (خوسا) وليس عموماً – وليحسن الله أحوالهم – ولتكن كامل الإدارة التي تفكر بالعناية والاهتمام واللفظ، تدعونا وتحثنا أن نتصرف طبقاً لفحوى الكلمات التي تشير إلى السعادة: ((إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها^(٣٥))) وقد أسندت أعمال السلطنة ووظائف العبادة والدولة لأناس يتحلون بمزايا فاضلة ويتميزون بأصلهم الطيب وحبهم للخير الواضح من خلال الكلمات التي تجلب المسرة ((ورفع بعضكم فوق بعض درجات^(٣٦))) وعينهم في وظائف مناسبة وفرزوا ورفعوا بين الأشباه والأمثال حيث أن إثبات هذه الفكرة والشاهد لصالح هذا الاعتراض كان سامياً من الوجهاء والمقربين والأنساب والأخوة المحسن كمال الدين مقصود بما يخص الخدمة والمثابرة والإحسان، فهو يتبع لأولئك (الذين تم الحديث عنهم) ((وانسابقون السابقون أولئك المقربون^(٣٧))) المشمولين برعايته وقد كلفناه بوظيفة مير هزار عرب ونقلنا سلطته والتصرف بكامل شؤونهم.

وبالتالي الاعتراف بالمذكور أنه يتمتع بكامل الصلاحية والاحترام كأمير (أمير الألف

هزار) وعلى ألا يتدخل أحد في ذلك. شيوخ القرية والفلاحون^(٣٨) يعدّون مير هزار الذي يكون له كل الاحترام قائداً لهم كما يعدّون أنه من الضروري التوجه إليه في كافة الأمور الضريبية - (مقرري)^(٣٩) والرسوم (اخراجات) والفرائض الأخرى وغيرها من الواجبات التي ستقرض على هؤلاء الآلاف (هزار اجست) الذين ينفذون ما يحدده ويأمر به ولا يخالفون قراراته وهم يعدّون أنه من الضروري احترامه وتقديره والاحتفال به وتبجيله، ويدفعون له كما في السابق (الضرائب) وحق الاهتمام وكل ذلك بلا أدنى اعتراض. وأينما كان الفلاحون في الولايات والتومينيات (الرعية) والذين يعملون بنظام المحاصصة (الشريك) ويعملون تحت إدارة المذكور^(٤٠) في قريته (ذات مساكن الرحل) ويمارسون بهدوء حرفة شرعية.

- إن كان مير هزار في القرن التاسع عشر لم يجمع الأتاوات فإنه في القرن السادس عشر كان يقوم بذلك كمهمة رئيسة: فهو يجمع الضرائب لمصلحة الديوان: (أي للحكومة) ورسم معين لمصلحته الخاصة وتحمل الوثيقة طابع منح الهبات أكثر من التخصيص لوظيفة ما.

وبالمناسبة في زمن التيموريين، والشيبانيين، عدّ التعيين في وظيفة ما بمثابة "شويورغال" منحة وفائدة. ويحتمل أن يكون المصطلح الإقطاعي "البيغ" وهو جباية الضرائب بالتركية قد صادفنا مرات كثيرة في وثائق القرن السادس عشر وفي فترة أخرى متأخرة مع مصطلح "ساليغ" والمعنى الحقيقي للمصطلح غير محدد^(٤١) يمكن التفكير بأن فحواه كان واسعاً واشتمل على الضرائب عموماً. وإلى أن نجد مواد أخرى ما علينا إلا أن نترك المسألة قيد الدراسة^(٤٢) مصطلح "حق الاهتمام" وهو حرفياً، الأجر لقاء الرعاية، أي أجر الإدارة كنت قد صادفته للمرة الأولى، لكن أسية الوسطى في القرون الأخيرة عرفت سلسلة كاملة من

مثل هذه الرسوم التي كانت تدفع لمصلحة المسؤولين على مختلف تسمياتهم (مـيروبون، محصلون وما شابه ذلك) وفي دولة المغول في (إيران) حصل قادة الوحدات العسكرية على رسم خاص من جنودهم.

— ويتضمن الجزء الختامي من الوثيقة معنىً خاصاً: من المفروض على الفلاحين ومن يعمل بنظام المحاصصة أينما وجدوا العودة إلى أماكنهم (بورت — مساكن الرحل في آسية الوسطى) ومحطاتهم ولم يكن متوجباً على أحد إيواءهم والاحتفاظ بهم، على ما يبدو الحديث يدور هنا حول شكل معين من أشكال تثبيت الفلاحين بالأرض وحول عودة الهاريين. وهناك صيغة أخرى مماثلة ولكن واضحة أكثر في وثيقة أخرى من نفس المجموعة (r.26g) حول تعيين الحكيم على "تشاغاتيين":

ويرد في الوثيقة لم يكن أي من السادة والشيوخ والأمراء وكافة خدام القصر — ملجأ السلام يقوم بأيواء (حمايات ناكوناد) تشاغاتايف. لكنهم يقدمون الخدمات للمذكور (حكيم) نجد مثل هذه الصيغ واردة في الوثائق زمن الحكم المغولي في إيران^(٤٣) وفي الصيغة العامة حول تثبيت الفلاحين في بطاقة معروفة ((غازان خان)) وحددت فترة ثلاثين يوماً للبحث عن الهاريين. من المحتمل أن البطاقة تتضمن نظاماً مقرر^(٤٤) المسألة المتعلقة بوجوب تثبيت الفلاحين بالأرض أو بالمالكين في آسية الوسطى. وحول أشكال مثل هذا التثبيت بحاجة لبحثها في دراسة خاصة، ف.ف. بارتولد نفى وجود ذلك في كافة البلدان الإسلامية^(٤٥).

كما ورد أعلاه فإن الوثائق تضع العرب بين القبائل الرحل ولا تطلق عليهم اسم العرب بل البدو. إلا أن ذكر الفلاحين والمحاصصين (شريك)^(٤٦) يتم وكأنه قد بدأ استخدام هذا المصطلح الأخير تجاه اقتصاد تربية الأغنام الرحالة مازال غير معروف ويبدو أنه قليل الاحتمال.

ومن المهم أيضاً أن نفس تلك المصطلحات^(٤٧) "مير هزار" الألفي، وهزار الألف، كوحدات إدارية وليست عسكرية. وفي المراجع لا يوجد على حد معرفتي ذكر لها. وفي الوحدات الكبيرة وجد مصطلح (عشرة آلاف) في خانية بخارى قبل القرن التاسع عشر. وقد أورد ف.ف.بارتولد، افتراضاً بأنهم جلبوا في زمن الخان كيبيك (١٣١٨ - ١٣٢٦) مصطلح هزار، في آسية الوسطى نصادفه في القرن السادس عشر^(٤٨).

حيث أن منطقة ماتشا الجبلية عدت في نهاية القرن السادس عشر (هزار)^(٤٩) وما زالت هذه التسمية قائمة في أعالي نهر زرافشان حتى الغزو الروسي للمنطقة.

مصطلح مير هزار كما يبدو من الوثائق التي أوردناها وحتى نهاية القرن السادس عشر، كان مرتبطاً بالعرب فقط وبعض القبائل الرحل، ولكن في دار فار، وكارتيجين، بقيت هذه التسمية بلفظ محلي (ميرزوري) حتى قيام الثورة^(٥٠). وكانت هذه اختيارية من إقرار البيك أو الشاه وتطلق على المسؤولين عن جمع الأتاوات إلى جانب الأعمال الأخرى والرسوم وبقيت ذات طابع قديم. وفي مكان واحد هو وصف^(٥١) سكان مدينة بخارى الذين قسموا في منتصف القرن الثامن عشر لأهداف مالية حكومية، إلى هزارا (آلاف)، ومن المحتمل أن هذا التقسيم قد ظهر في البداية زمن إعادة التسجيل الذي قام به المغول^(٥٢).

وكان هذا التقسيم قائماً بشكل غير واضح في زمن المغول وفي أفغانستان المعاصرة (كابول)، وفي أذربيجان، وكذلك في جورجيا.

وبذلك استنفذت لديّ البيانات حول العرب في آسية الوسطى - الوثيقة التالية والأخيرة تعود إلى خراسان وهي موجودة في مجموعة الوثائق الرسمية التي أعدها عبد الله محمد المروزي أثناء خدمته بمثابة سكرتير لدى السلطان حسين بايكره الذي حكم (هيرات) والقسم الأكبر من خراسان، اعتباراً من عام ١٤٦٨ ولغاية ١٥٠٦ م. وقد توفي عبد الله

في عام ١٥١٦م^(٥٣)، ومجموعة قوائم المخطوطات التي تذكر فيها كثيراً جداً تسمية ترتستولي - مرواريد، مع العلم أن هذه التسمية غير موجودة فيه، وتوجد في معهد الاستشراق عدة مخطوطات من هذه المجموعة التي تتميز بعضها عن بعض من حيث محتواها.

لقد قمت باستخدام مخطوط ص ٣٣٣ (A,rr-466-48a). عدا ذلك ورد الجزء الهام من وثائق المجموعة المذكورة أعلاه (خط قياس B,A210,r.97g-986 أدناه) ويرد فيها ما يلي:

“نشان حكيم العرب سعيدي باسم حجي أفضل الدين محمد.. وفي هذه الوقت فلان وفلان الذين ينتمون إلى زعماء ورؤساء قبائل العرب بنو سعيد وعدة قبائل وقبل فترة مضت نتيجة عدة أحداث مرت خرجوا من ممالك خراسان مقرهم الأصلي وأقاموا في العراق. حيث أصبحوا أسرى للظلم والتعسف. فراحوا يبحثون عن ملجأ عند القصر - ملجأ السلام^(٥٤) فاستحقوا شرف تقبيل البساط، وكانوا على أمل بأن يجدوا العطف اللامحدود والشفقة، وطلبوا أن يكون جل الأمور والإدارة العامة والخاصة مفوضة لأحد أركان الدولة كي يمكنهم القيام بالصلاة بهدوء للدولة القوية الراسخة وبغية تحسين أحوالهم والثقة الموجودة لدينا بوجهة النظر الجيدة التي تزين المملكة بانية الأسس العظيمة لسلطنة الخليفة الطيب والمخلص مؤتمن الملك حجي أفضل الدين محمد وعهدنا بالاهتمام الجيد بهذا المشهور - ونتمنى له حسن النهاية - والتوفيق في عمله لإدارة (دار وغاغي) وتحصيل رسوم وضرائب العرب المذكورين. الذين وصلوا والذين سيأتون من الآن فصاعداً، مع تعيين الموظفين (مباشرين) محصلي (أميليه) غير قرار الأحكام (تزوك باستان)^(٥٥) نظراً إلى أن ذلك يمكن توقعه من شخصيته الطيبة. حيث أبدى اهتماماً خالصاً ورأفة كما

تتطلب العادة الطبية و الطبيعة التي تستحق الثناء، لهذا الباني لدعائم الدولة والذي لم يسمح بأن يقوم شخص ما بإثارة القلق وتدمير ما قاموا ببنائه. وقام بتعيين حكام عليهم ولكنه لا (يسمح بأن يقوم بينهم أية خلافات)، وعين عليهم سنوياً محصلاً يقوم بجباية الواجب في حينه وتقديمه للديوان وعليهم أن يخضعوا لأوامره ونواهيته التي تعدّ أوامراً ونواهيماً دون الاستهانة بأدنى أوامر الطاعة وفي كافة الأحوال، اعتبار الشكوى والامتنان له فعلاً مؤثراً^(٥٦). وهكذا حتى نهاية القرن الخامس عشر استطاعت مجموعات كبيرة من العرب تنفيذ الترحال من خراسان إلى العراق^(٥٧) وبالعكس. إلى جانب إقرار هذه الحقيقة تفسر لنا هذه الوثيقة كيف كان العرب - المرتحلون بحاجة إلى نصير من الإقطاعيين أو الموظفين الكبار^(٥٨). إن مثل هذا النصير بالطبع لم يقتصر على جباية الضرائب إلى الخزينة بل و أراد.. أن يجمع شيئاً لمصلحته الشخصية.

وهذا على ما يبدو أجر الرعاية أو الاهتمام الذي ذكر في الوظيفة السابقة. وفي هذه الوثيقة يذكر مصطلح "اهتمام" - العناية. وبدا أن هؤلاء العرب كانوا تابعين لهذا الإقطاعي ومن المحتمل أن مير حيدر، كان ذلك النصير والذي خصص له ولخلفه لاحقاً رسم خاص في كتابات م.س. أندرييف. وفي الختام يتوجب التوقف عند مسألة وهي متى جاء أولئك العرب إلى آسية الوسطى، أولئك الذين تتحدث عنهم الوثائق والموجودون في المنطقة حتى يومنا هذا. من غير الممكن إعطاء جواب نهائي على هذا السؤال الآن وسنتقيد بشكل أو بآخر بالافتراضات المدعمة بالحجج والبراهين. في زمن فتح العرب لآسية الوسطى في القرن السابع - القرن الثامن، في المدن الكبيرة لبلاد ما وراء النهر - في بخارى وسمرقند، ويحتمل أيضاً في مدن أخرى استوطن العرب على شكل مجموعات كبيرة في حاميات. حيث أعطوا في بخارى نصف منازل وأراضي السكان^(٥٩) ويحتمل أنه منذ تلك

الفترة فترة الفتح الإسلامي حملت بعض الأماكن والأحياء والبوابات والمقابر أسماء قبائل عربية في بخارى، وسمرقند. وعلى ما يبدو لا يوجد ما يشير إلى أن العرب في هذه الفترة قد استوطنوا خارج هذه المراكز الضخمة. ومن الصعب تصور إمكانية ذلك في بلد تعرض للفتح ومهدد وباستمرار بخطر الانتفاضة، ولاحقاً بعدما انتهى الفتح وبدأ اندماج المنتصرين مع المغلوبين، كان العرب المدنيون قد انتشروا بشكل أوسع وطبقاً لما جاء به عالم الجغرافيا في القرن التاسع العقبوي فقد تواجد العرب^(٦٠) في كافة مدن خراسان (حيث يشمل بها بلاد ما وراء النهر). لا توجد لدينا معلومات حول أن العرب شكلوا جموعاً متماسكة في مكان خارج المدن الكبيرة. يعدّ ف.ف. بارتولد^(٦١) بأن قرية فيدرا إلى الشمال من سمرقند هي مركز العرب في القرن العاشر وأن فيدرا وغيرها من قرى هذه المناطق تتبع لمجموعة (قوم) من قبيلة بكر بن وائل المشهورة. حيث كانت تتبع لهم السلطة في سمرقند، وكانت لديهم بيوت للضيافة ومزايا جيدة.

"ويضيف ابن حوقل إلى ذلك قائلاً: "وجدت قسماً قليلاً منهم مشيراً إلى الكثير من هذا الخير يمكن بسرعة التوصل إلى نتيجة ختامية مفادها أن فيدرا وغيرها من القرى الأخرى كانت مسكونة من قبل العرب"^(٦٢).

ولاحقاً: اندمج العرب بسرعة مع السكان المحليين في المدن الكبيرة، حيث ذكر الكاتب المشهور^(٦٣) جاهيرز، وذلك في القرن التاسع بأنه أصبح من المستحيل تمييز العرب القاطنين في فرغانة أو غيرها من مناطق خراسان (بالمعنى الواسع) عن السكان الأصليين، ومن الممكن أن العرب المعاصرين في مدن بخارى وسمرقند وخوجند، ويحتل أيضاً في مدينة كاتال-كورغان، يكادون لا يختلفون عن جيرانهم الطاجيك، وأنهم من أولئك السكان الذين استوطنوا في القرون الأولى للإسلام. وكان الحال مغايراً على الضفة

اليسرى من أمو داريا في خراسان. ففي الفترات المبكرة جداً من فتوحات العرب لمناطق (مرو وبلخ) التي جعلوها قواعد أساسية للفتوحات اللاحقة، حيث قدم العرب بأعداد كبيرة منذ البداية واستقروا على شكل مجموعات قبلية كبيرة، وإذا كان العرب الحضر الذين أقاموا في المدن والقرى المجاورة (يحتمل على الأغلب أنهم كانوا من المالكين للأرض وليسوا ممن يعمل بنظام الحصة) قد ذابوا في كتلة السكان الأصليين، فإن العرب الرحّل كما هو عليه الحال في أي مكان، قد حافظوا بشكل أكبر على مزاياهم^(٦٤)، ومن الأحاديث حول هلاك آخر ممثل لسلالة السامانيين، يتضح بأن مجموعة كبيرة من العرب الرحّل التي كانت تخضع للسلطان محمود الغزنوي ويقودها موظف معين من قبله وهو (بوندار) كانت تقيم في السهول الواقعة بين (مرو) وشارجوي.

يذكر أن العرب أقاموا في القرن الثاني عشر حول مدينة شهرستان في منطقة عشق آباد المعاصرة^(٦٥)، ويطلق المقدسي^(٦٦)، كما كتب في القرن العاشر عن منطقة مدينة حلم (المسماة الآن تشكرغان، في الجزء الشرقي من تركستان الأفغانية) اسم بلد قبيلة آزاد في قرية خاست، في مكان ما من هذه المنطقة عاش العرب عند معبر أمو-داريا في أعالي تشارجوي^(٦٧)، ومن الممتع ذكره ما جاء على لسان (بارتولد)^(٦٨) في حديثه عن منطقة غوزغانان في القرن العاشر حيث يذكر بلدة أزيغ^(٦٩)، الصغيرة في المنطقة الخاضعة لسيطرة حاكم غوزغانان حيث يؤكد وجود العرب في سهول هذه المدينة وعددهم حوالي عشرين ألف رجل ولديهم الكثير من الخراف والجمال يعين أميرهم من قبل حاكم غوزغانان، وهم يدفعون له الصدقات (أي بكلمات أخرى الزكاة - ضريبة المواشي) وهؤلاء العرب هم الأغنى من بين كافة العرب المنتشرين في أصقاع خراسان. خوش، "هي قرية كبيرة جميلة ومأهولة بالسكان وتقع في وسط الصحراء" كما أنها تتبع لحاكم

غوزغانان، حيث يتوافد هؤلاء العرب بإعداد كبيرة صيفاً إلى هذه البلدة وامتدت ملكية غوزغانان التي ضمت (اندخوى، ميمينه، شوبورغان) ما بين شوبورغان وبلخ، إلى حيث ما يسمى الآن أكتشا ويمكننا الاستنتاج بأن المجموعة الكبيرة من العرب تعدّ خلفاً لأولئك الذين يتحدثون اللغة العربية في منطقة أكتشا التي تطرقت إليها الوثيقة نجد أن القبائل العربية التي استقرت في سهول تركمانية قد فقدت منذ زمن بعيد لغتها وأصبحت بمثابة قبائل خاصة انصهرت مع الشعب التركماني، ويحتمل أن يكون عرب تركستان الأفغانية، قد حافظوا على لغتهم نتيجة انضمام مجموعة ما كانت قد قدمت في وقت لاحق. لقد رأينا أن مثل هذه الهجرات كانت ممكنة حتى نهاية القرن الخامس عشر، وتؤكد الوثائق والقصص وجود علاقة بين قسم كبير أن لم يكن كافة عرب آسية الوسطى المعاصرين مع تركستان الأفغانية. هل يوجد هنالك عرب الآن في هذه المنطقة هذا ما لم أتمكن من تحديده وحسب المصادر الإنكليزية الرسمية^(٧٠) يوجد في تركستان الأفغانية عرب يتحدثون باللغة الطاجيكية، ولكن أين بالتحديد — هذا ما لم يشر إليه.

تواجد العرب وبكثرة في المنطقة الجنوبية في القسم الأوسط من أفغانستان، وكما هو معروف دخل العرب في تشكيلة جيش محمود الغزنوي كوحدة خاصة كان قد تم اختيارها، ولكن بعد فترة طويلة من وفاة السلطان محمود، ورد ذكرهم عند وصف الأحداث في منطقة غزنة حتى بداية القرن السادس عشر في زمن بابور^(٧١)، كان العرب الرحّل موجودين في منطقة كابول، ومن كلمات بابور يمكن الاستنتاج بأنهم كانوا يتحدثون باللغة العربية فهل هم موجودون الآن — هنالك؟ — هذا غير معروف. ومن المحتمل أنه من خلالهم أدخلت إلى لغة عرب آسية الوسطى عناصر لغوية أفغانية. ومن المعلوم أن الأفغان لم يكونوا البتة في تركستان الأفغانية حتى القرن التاسع عشر، أما الآن فهم موجودون

بتعداد ضئيل جداً.

ومن غير المعلوم أيضاً متى حل عرب آسية الوسطى على الضفة اليمنى وفي الأماكن التي يعيشون فيها الآن. كتابات القصص والأساطير تشير إلى أن تنقلاتهم كانت صعبة ولم تحصل مباشرة. قسم من عرب سمرقند. على سبيل المثال. قد مرّ عبر كارشي والقسم الآخر عبر بخارى. ويشير د.ن. لوغوفيت^(٧٢) إلى أن العرب على ما يبدو كانوا قد استوطنوا على الطريق ما بين بلخ وسمرقند - في بيكيات كاباديا نيك. وشهر سياب، غيسارا، شيراباد وتشير اكتشين. يحتمل أن لهذه الملاحظة أساسات معينة. إلا أنه في المخطوطات الثلاثة المنشورة ذكرت أسطورة شائعة حول نزوح العرب من قبل تيمور. إن مثل هذا النزوح وارد بحد ذاته. نحن نعرف عن عمليات الترحيل التي تمت في زمن تيمور وخاصة بين الحرفيين، ولكن أحياناً من الرحل وعلى التو بعد وفاته بدأ هؤلاء المرحلون العودة إلى أماكنهم السابقة. ومن الغريب مع ذلك أن مؤرخي تيمور الذين كلنوا يسجلون كل خطوة يخطونها لم يذكروا أي شيء عن ترحيل العرب. عدا ذلك من الضروري الإشارة إلى أن أساطير آسية الوسطى تربط كافة الأحداث الكبيرة والمنشآت بتيمور أو بعبد الله خان، لذلك ترى أن الأسطورة تورد فقط، أن هذا الحدث قد حصل منذ زمن بعيد.

ومن الغريب جداً ما ذكر في أساطير مير حيدر - صهر تيمور - ومطابقة هذه الشخصية غير المشهورة على الإطلاق مع أمير بخارى حيدر، نظراً إلى أن هذا الأمير عاش خلال فترة ليست قديمة وما زالت الذاكرة حوله حية. وما زلت أذكر حدثاً واحداً ارتبطت به عملية تهجير جماعي من الضفة اليسرى إلى اليمنى من أمو - داريا كانت قد حصلت بعد ١٠٠ عام من تيمور في عام ١٥١٣م وكان السلاطين الأوزبك مضطرين لتنظيف المناطق

المغتصبة من قبله في شمال خراسان وبلخ وعند ذلك حسب ما ذكر الكاتب المعاصر مؤلف زبدة الآثار^(٧٣) عبد الله عندما كان سلطاناً وليس خاناً قام بتهجير سكان مرو إلى بخارى، أما جانبيك - سلطان فقد هجر إلى إقطاعه عبر أمو - دارييا سكان بلخ وشوبرغان واندخوي، وهي نفس المنطقة التي عاش فيها عرب شمال أفغانستان. إقطاع جانبيك في تلك الفترة كان وادي زيرافشان حتى كيرمين ومن المحتمل جداً أن قسماً من عرب هذه المنطقة قد وصل إلى تلك المنطقة بنتيجة هذه الأحداث، ومن الممكن أن ترتبط تلك الوثيقة العائدة لمنتصف القرن السادس عشر مع ما ذكرته أعلاه^(٧٤).

ربما كان من الممكن حل المسائل التي طرحتها لو كانت قصص العرب أنفسهم قد كتبت بدقة أكثر وبشكل تام. وعندها كان يتم التوصل إلى توضيح من هو مير حيدر، ولهذا كلن لا بد من توضيح لمن دفعت الضريبة العربية الخاصة^(٧٥) وما هي المزارات الموجودة في منطقة كارشا (وخاصة في قرية كاسبا).

الهوامش

- (١) عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن الأثير - الكامل في التاريخ بيروت دار صادر ١٤٠٣هـ / ١٩٨٢م، ٣/٣٣.
- (٢) سيف بن عمر الضي الأسدي - كتاب الردة والفتوح، وكتاب الجمل ومسير عائشة وعلي - تحقيق قاسم السامرائي: ط٢ - الرياض - دار أمينة - ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م ص ١٧-١٨.
- (٣) حسن أحمد محمود - الإسلام والحضارة العربية في آسية الوسطى بين الفتحين العربي التركي - القاهرة - دار الفكر العربي ١٩٦٨ ص ١١٦.
- (٤) محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) تاريخ الرسل والملوك، القاهرة ١٣٥٨هـ / ١٩٣٩م. ٤/٢٦٢-٤٦٣.
- (٥) حسن أحمد محمود - الإسلام والحضارة العربية في آسية الوسطى بين الفتحين العربي التركي - القاهرة - دار الفكر العربي ١٩٦٨ ص ١٢٤-١٢٥.
- (٦) ابن الأثير الكامل في التاريخ، بيروت، دار صادر ١٤٠٣هـ / ١٩٨٢م - ١٥/٥.
- (٧) فزان بن ابراهيم الشايع (حركة هجرة القبائل العربية واستقرارها في المشرق من الفتح الإسلامي وحتى نهاية الدولة الأموية، رسالة ماجستير بإشراف عبد العزيز بن ابراهيم العمري، الرياض، جامعة الإمام محمد سعود، عام ١٤١٦هـ / ص ٤٢٧٠، و ص ٤٧٨.
- (٨) مهام دارسة تركستان، العلم والتعليم، ١٩٢٢، رقم ٢ ص ١٠ ترقيم صفحات خاص.

- (٩) Meyendrof, Voyage d'orenburg- Boukhra بياريس ١٩٢٦، الصفحات ١٩١ و ١٩٧.
- (١٠) خانيكوف وصف حاتيه بخارى، سان بطرسبورغ، ١٨٤٣، ص ٥٦-٥٨.
- (١١) رحلة في آسيا الوسطى، سان بطرسبورغ ١٨٦٥، ص ١٨٣، ترجمة غير دقيقة بالمقارنة مع Avambenry جولات في آسيا الوسطى، لندن ١٨٦٤، ص ٣٧٠م.
- (١٢) مجموعة "روكسي تركستان"، تحقيق ٢، ١٨٧٢م، ص ١١٣-١١٥.
- (١٣) معلومات جغرافية وإحصائية حول منطقة زرافشان، سان بطرسبورغ ١٨٧٤، ص ١٤٣-١٤٩، تعداد عرب آسيا الوسطى محدد بشكل مختلف من قبل الباحثين.
- (١٤) تماماً مثل كريبينكين.
- (١٥) أجبار تركستان، الجمعية الجغرافية الروسية، الجزء ٢، ١٩٢٤، ١٧، ص ١٢٦-١٣٧.
- (١٦) استذكارات مجموعة مستشرقين، المجلد ٥، ص ٥٢٧-٥٤٩.
- (١٧) قارن: ي. آ. فوزيسينسكايا وآ. ب. بيوتوروفسكي، مواد للفهرسة والأثنوبولوجيا وأثنوغرافيا كازاخستان وجمهوريات آسيا الوسطى، ص ٢٣٤، إلى ما ذكر هنالك ٢٤ اسماً وبعض ما أورده يمكن إضافة آ. ي. سيمينوف، تحقیقات أثنوغرافية لجبال زيرافشان. كاراتبعين ودارو واز، موسكو، ١٩٠٣م، ص ١٨، ونفسه ورد في "مجلة عالم الإسلام" ١٩١٢م، ص ٣٠١. آ. خورشخين، في مجموعة مقالات تتعلق بإقليم تركستان b6m4، ص ٢٣٦-٢٤٧ و لا. ف. ناليفكين، التاريخ الموجر لخانية كاكندة.

كازان ١٨٨٥م، ص ١٠ ف. ف. بارتولد، العالم الإسلامي nrp، ١٩٢٢، ص ٣٠، وبنفس المرجع، تاريخ الحياة الثقافية لتركستان لينينغراد، ١٩٢٧م، ص ٢٣-٢٤.

(١٨) حسب كلمات آ. غايكسي (وهو عالم اجتماع الجغرافية روسي شهير، المجلد ٥٥، النبعة ٢ و ص ٢٣)، توجد في بيكية كورغان، تيومن في الجزء الأسفل من وادي فاختش قريتان، سكانها شبه رحل من العرب، في لغتهم الكثير من الكلمات العربية التي تجعل الحديث معهما صعباً باللغة الأوزبكية، يحتمل أن هؤلاء العرب كانوا يتحدثون فيما بينهم باللغة العربية (الحديث يدور عن عام ١٩٢٠)، قارن أيضاً د. ن. لوغرفيت، خانية بخارى الواقعة تحت الحماية الروسية الجزء ١، ص ١٧٥.

(١٩) راجع مواد حول تاريخ التركمان وتركماتيا، المجلد ٢، إصدار أكاديمية العلوم ١٩٣٨، دليل أسماء القبائل.

(٢٠) Histoire de Asie Centrale par Mir ABDOUL KARIM Boukhary. Publie, Traduit et annots par Scheter. Paris 1876 (texte-person). راجع: مواد حول تاريخ التركمان وتركماتية، المجلد ٢، ص ٢٠٢.

(٢١) تنويهات معهد الاستشراق، المجلد ٢، ص ٧٨.

(٢٢) أخبار آسية الوسطى، قسم الجمعية الجغرافية الروسية الحكومية: المجلد ١٨، ١٩٢٨، ص ١٦-١٧، و ٢٢-٢٣.

(٢٣) وردت لدى فيكاتكين كاميشي خطأ.

(٢٤) قائمة بالمناطق المأهولة في جمهورية أوزبكستان السوفيتية، ١٩٢٨، الجزء ١٠،

منطقة كاشا، داريا، سمرقند، ١٩٢٩.

(٢٥) مجموعة فياتكين رقم ٥٥، قارن: المكتبة العمومية الحكومية لجمهورية أوزبكستان السنوفيتية، المجلد ١، ص ٦٤، رقم ٢٣.

(٢٦) حول فحوى المجموعات المتماثلة كمصادر تاريخية سأطرق للحديث عنها في بحث آخر هذا العدد الضئيل جداً من الوثائق المنشورة حتى الآن إضافة إلى اللغة الصعبة والمغالية في التزييق يجعل ترجمتها وتفسير بعض مصطلحاتها صعباً. وتتزايد هذه المصاعب أيضاً نتيجة أن سلسلة من قضايا تاريخ آسية خلال القرون الأخيرة لم تدرس أبداً. عند نقل المصطلحات والتسميات وبعض الكلمات المتعلقة بآسية الوسطى، اتبع اللفظ الوارد في اللغة الطاجيكية المعاصرة ولغة المدن الأوزركية (أ- تحول إلى: أو).

(٢٧) موبورز اتبانوخ، هو تسمية المناصب البخارية من كراكول، بيغي حتى اشيك -أ- باشي، قارن آ. آسيمونون، نماذج من الوثائق الرسمية الطاجيكية طشقند، ١٩٢٩، ص ٢٥. الاسم وارد غير واضح يحتمل أن يكون: قال.

(٢٨) مواد تاريخ الكراكالباكين، ١٩٣٤، ص ٣٤-٣٥.

(٢٩) مخطوط معهد الاستشراق، شيفرة ٨٨، 250a-2506، في مكان آخر عبد الله، نعمة، 448g، يذكر العرب في ولاية بالخسك.

(٣٠) شيفرة A. 448A راجع 3BO، ١٥، ص ٢١٩.

(٣١) إلى الشمال من سمرقند، راجع ف. ف. بارتولد، تاريخ إرواء تركستان، ص ١١٥.

(٣٢) كما هو معلوم كانت آسية الوسطى في عهد الشيبانيين مجزأة إلى إقطاعات مستقلة

ما بين أفراد سلالة، الخان، قام الخان بإدارة منطقة العاصمة فقط، في الفترة الأولى كانت سمرقند وعلى ما يبدو يقصد هنا المنطقة التي كان يديرها الخان شخصياً.

(٣٣) في هذه الوثائق تذكر عموماً فقط القوميات، لذلك فإن عدم ذكر مير هزار أن يجد ذاته لا يشير إلى أنهم غير موجودين في هذه الولايات.

(٣٤) قارن ما ورد لدى بابور (GMS, 1898)، ترك ومولين وإيماق واحشامدين وهزاره دير مختلف أيل وأولوس.

(٣٥) القرآن الكريم، سورة النساء، الآية (٥٧).

(٣٦) القرآن الكريم، سورة الأنعام، الآية (١٦٥).

(٣٧) القرآن الكريم، سورة الواقعة، الآية (١٠).

(٣٨) كلمة "رعية" تطلق على الفلاحين وأحياناً كما في نهاية الوثيقة الفلاحون، المالكون وذلك خلافاً لمن يعمل بنظام المحاصصة.

(٣٩) حسب آ. آ. سيمونوف (مصطلح مقرر يعنى مجموعة الضرائب ذات الطابع المعين والتي تطلق عليها بمفهومنا "المباشرة"، وأنصور أن (مقرر) هو ضريبة تدفع على شكل مبلغ معين يقرره الديوان أما "مول" أو المال فيدفع على شكل حصة من المحصول. (قارن تعبير مماثل في وثائق زمن الحكم المنغولي في إيران (دستور الكاتب "المحفوظ في معهد الاستشراق، ص ٢٥٦) والمبلغ كذا برسبيل مرسوم بر. مواضع مرجو الحصول بنام إطلاق كنند..

(٤٠) حرفياً: العناية ١٠ الاهتمام).

- (٤١) الصيغة التي نصادفها غالباً /الغات/ والموازي لها /سالغات/ يمكن أن تطون كلمة عربية بالجمع من تلك الكلمات التركية راجع على سبيل المثال /الغات و عملات ومراعيات في الوثيقة التي نشرها آ. آ. سيمونوف، المجموعة المقتبسة، ص ١١ ترجمة كامل العبارة غير دقيق لدى سيمونوف، فهي تعني: الضرائب والرسوم لقاء المراعي التي كانت تابعة منذ القدم لشيخ الإسلام سابقاً، وكانت يجب أن تدفع له وفق نظام محدد دون اعتراض.
- (٤٢) قارن: 3BO, XV، ص ٢٦٩، مصطلح "سالغ" في النصف الأول من القرن التاسع عشر كان يعني أتاوة القصر. راجع آل ل كون تحقيقات بيكوية شهر سياب، الجمعية الجغرافية الروسية حول موضوع أثوغرافية، ص ٦٠، ١٨٨٠، ص ٢٣٠.
- (٤٣) دستور الكاتب، "مخطوط 1836 1 (نسخة ف. غ. تيرينغاوزن، ص ٢٧٨ و ٢٧٩ مصطلح حمايت"، قارن أيضاً: ف. ف. تارتولد، نقش على جدار جامع أنيس مانوتشه، ص ٢٧ و ٣١.
- (٤٤) DoHSSON, Histoire des Mongols، ٤، ص ٥٤٢، اب بترونييفكسي، حمد الله قزويني كمرجع بالتاريخ الاجتماعي والاقتصادي لشرق ما وراء القوقاز، -أكاديمية العلوم السوفيتية- قسم العلوم الاجتماعية، ١٩٣٧، ص ٨٨٨.
- (٤٥) الثقافة الإسلامية، ص ٤٨.
- (٤٦) حول هذا المصطلح راجع: ن. آ. كيسلاكوف، آثار الشيوعية البدائية الطاجيكية فاخيو بولو، ١٩٣٦، ص ٢٩-٣٣.
- (٤٧) أولوغ بيك وفترته ٩ تاريخ تركستان، ص ٣٩.
- (٤٨) من أرشيف شيوخ جوبيري (1938 W 456) تاتكينت في مانكال، ص ٤٦٠ (نور) لهذا المكان لفت انتباهي ب. ب. إيفانوف.

- (٤٩) عدة وثائق من القرن السادس عشر - السابع عشر من ماتشا، أقوم بإعدادها للنشر.
- (٥٠) قارن على سبيل المثال/ غير. الدليل إلى تركستان، طشقند ١٩٠١-١٠٨ ن. آز كلاسكوف، المجموعة المقتبسة، ص ٥٤ و ٨١.
- (٥١) إصدار بومباي، ١٨٥٢، ص ٤٩.
- (٥٢) سرد تاريخ لافرينتيكا عام ١٢٥٧، (اقتبس من/ ب. غربكوف، القطيع "القوم الرجل"، ص ١٦٧).
- (٥٣) Ch, Rieu، كاتالوغ المخطوطات الفارسية، جزء ثالث، ن. ص ١٠٩٤.
- (٥٤) قطع في الوثيقة.
- (٥٥) أي بكلمات أخرى سلطان حسين.
- (٥٦) الترجمة افتراضية.
- (٥٧) معنى هذه الجملة غير واضح، قارن في وثيقة عام ٨٩٣، من فارس: شكر وشكايت عظيم مؤثر داند (فارس نامہ ناصری، مجموعة حجي ميرزا حسين طيبي، طهران ١٣١٣، ص ٨١-٨٤). - على ما يبدو عليهم أن ينتبهوا الصيغ الختامية العادية: مثل: على الجميع أن يبدو الثقة بهذا، مكتوبة بأمر سامي في عام ما. - يقصد بالطبع العراق، عجمي، أي بكلمات أخرى إيران الغربية.
- (٥٨) خواجه أفضل الدين محمد كرماني كان أحد وزراء السلطان حسين، من عام ١٤٧٣ لغاية ١٤٨٧، ومرة أخرى في عام ١٤٩٨، واستناداً إلى اللقب يمكن أن يكون ذلك في تشكيلة وزارته الثانية، راجع حوله: ف. ف. بارتولد "مير على شبير (ص ١٣٦،

(١٤٣، ١٥٢، ١٥٤).

(٥٩) قارن ف. ف. بارتولد: تاريخ الحياة الثقافية لتركستان، ص ٢٣.

(٦٠) BGA, VII, 294, 5-7.

(٦١) تركستان في عهد الغزو المغولي، الجزء ٢، ص ٩٧، تاريخ ري تركستان، ص ١١١-١١٢.

(٦٢) BGA, ١، ٣٢٢، ١٠ و ٣٢٣، ١٠ و ٣٢٣، ٢ و ٣٧٣، ١١-١٤، كلمات ابن حوقل على ما يبدو تحصن مؤسسة خيرية أسستها هذه القبيلة.

(٦٣) تاريخ ري تركستان، ص ١٢٦.

(٦٤) Tria Opuscula ed, van Vioten، ص ٤٠.

(٦٥) ف. ف. بارتولد: تركستان الجزء الثاني، ص ٢٨٤، مواد حول تاريخ التركمان وتركمانية، المجلد ١، ص ٢٢٦ (العنبي) ٣٦٠٠ (ابن الأثير وحسب ما أورده أبو الحسن بيهقي (تاريخ بيهق، ص ٧٠)، كان قد قتل "في موقف كورموش، عرب، وهذا هو خالد بن نهيب من بدو السيرة من قبيلة "عجل".

(٦٦) جوفيني 13، 46، II، GMSXVI، حيث على ما يبدو يتوجب قراءتها/ مترلكاه عرب.

(٦٧) 1، 301، 111، BGD، 4.

(٦٨) Ibid, 111, 292, 9.

(٦٩) إصدار ف. ف. بارتولد: المؤلفات ٢١٦، قارن المقدمة، ص ٥.

(٧٠) القراءة مشكوك بها.

(٧١) The Imperial Gazetteer of India, V, p. 68.

(٧٢) GMS, 1, Fasc, 131 a.

(٧٣) خاتية بخارى، الجزء الأول، ص ١٧٥.

(٧٤) 3BO, XV، ص ٢٠٢-٢٠٣.

(٧٥) ف. ف. وليامينوف (زبيرنوف). عملات بخارى وخيفين، القسم الشرقي الثالث

التابع للجمعية الروسية للأثار، ٤، ص ٣٥٦ و ٣٥٤ وما بعدها.